

منهج (عبد القاهر الجرجاني) في تناوله لفني الجناس، والسجع في كتابية: (دلائل الإعجاز)،
و(أسرار البلاغة): دراسة تحليلية.
الدكتور مساعد بن مطلق المعيلي الحربي
مدرس لغة عربية

E-mail: saw14000@hotmail.com

المخلص.

هذا بحث علمي يشكل مقارنة بلاغية نقدية قائمة على استقراء ووصف كتابي: (عبد القاهر الجرجاني): (دلائل الإعجاز ،
وأسرار البلاغة) في موضوعي: الجناس، والسجع ؛ لاستخلاص منهج (عبد القاهر) في عرضه للدرس البلاغي في هذين
الموضوعين، وكيف تعاطى الدارسون لمنهج (عبد القاهر الجرجاني) البلاغي والنقدي وطريقتهم في عرضه للقارئ والدارس؟
ويعتمد البحث على المزج بين المنهجين: الاستقرائي، والوصفي المعتمد على التحليل؛ لأنهما الصالحين؛ لاكتشاف منهج (عبد
القاهر) في تناوله للجناس، والسجع في كتابيه: (دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة)، وهما العمدة في تراث (عبد القاهر الجرجاني)
البلاغي والنقدي.

الكلمات المفتاحية: عبد القاهر، أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز، منهج، الجناس والسجع.

Abstract

This scientific research constitutes a critical rhetorical comparison based on an extrapolation and a description of my book (Abdel-Qaher Al-Jarhani): (Evidence of Miracle and Secrets of Rhetoric) in my topic: Anagrams and Sejaa, to extract the method (Abdul-Qaher) in his presentation of the rhetorical lesson in these two topics, and how the learners approached the curriculum (Abdul-Qaher Al-Jarjani) rhetorical and critical, and their way of presenting it to the reader and the learner? The research relies on the blending of the two approaches: inductive and descriptive, dependent on analysis, because they are righteous: to discover the method (Abdel-Qaher) in his approach to alliteration and assertiveness in his book: (Evidence of Miracle and Secrets of Rhetoric). They are the basis for the rhetorical and critical (Abdel Qader Al-Jarjani) heritage.

Key words: Abdul-Qaher, the secrets of rhetoric, signs of miracles, curriculum, alliteration and courage.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم- خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:
تعد المناهج البحثية العلمية مكاناً للدراسة والاستنباط والبحث والسؤال ، ونتيجة لتطور الفكر الإنساني في الجانبين المعرفي والتقني ظهرت المناهج العلمية البحثية في العصر الحديث فعرف الباحثون أولاً المناهج السياقية التي تنطلق من النص إلى خارجه مثل: المنهج التاريخي، والاستقرائي ، والفني التحليلي، والتكاملي، والمنهج الاجتماعي، والمنهج النفسي... وغيرها ، ثم تلى المناهج السياقية ذبوع صيت المناهج النسقية (الحديثة التي تعتمد على دراسة النص من داخله مثل: البنيوية، والأسلوبية، والتلقي ، والتفكيكية.... وغيرها. وأصبح الباحثون يسيرون في بحوثهم على منوال منهج علمي يصرح به الباحث في مقدمة بحثه. وتتبع مناهج القدماء في عرضهم للقضايا النقدية والبلاغية يُعد مادة غنية للباحثين؛ لاكتشاف مناهجهم وأساليبهم في عرض دروسهم والتي تعد من العوامل المؤدية إلى خلود أعمالهم على مر العصور . ومن هذا المنطلق يدرس البحث منهج عبد القاهر الجرجاني في تناوله لموضوعي (الجناس والسجع) في كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة).

١- الحاجة إلى الموضوع.

أ. أن الكثير من الدارسين لموضوعي الجناس والسجع عند عبد القاهر الجرجاني، سلكوا - في أغلب الأحيان - طريقاً واحداً يتمثل في عرض إحصائي للألوان البديعية التي وردت في كتابيه - قيد الدراسة - (دلائل الإعجاز)، و(أسرار البلاغة) بحسب تقسيمات البديع المعروفة في العصر الحديث ^(١) .
ب. أنه من الدارسين من سلك المنهج الوصفي في دراسته لكتابي عبد القاهر مُعتمداً على رسم لوحة توضيحية للخطوط العريضة للمادة العلمية للكتابين، ورصد بعض الآراء البلاغية الواردة فيهما دون الدخول في عمليات النقد والتقويم ، أو استعراض للعلل والأسباب التي دعت له عرض مادة دون أخرى ، ومن الشواهد على هذا المنهج حديث الدكتور (شوقي ضيف) عن السجع والجناس في كتابه البلاغة تطور وتاريخ، حيث يقول: " وتحدث في بعض صحف الكتاب عن السجع، والجناس؛ ليبدل على أنهما لا يحسنان إلا في نسق مستو منتظم " ^(٢) .
ج . أن الكثير من الباحثين اهتموا بتجلية القضايا البلاغية لدى عبد القاهر دون العرض لمنهج عبد القاهر ودراسته ، وقد تنبه لهذا الباحث عبدالله بانقيب، حيث استعرض المؤلفات التي كُتبت حول التراث البلاغي لعبد القاهر قائلاً: "وقد تركز الجهد المبذول في تلك الدراسات على تجلية القضايا البلاغية في تراث (عبد القاهر)، وعرضها دون عناية بالكشف عن أصول المنهج الذي صدر عنه " ^(٣) .
هـ. الرجوع إلى التراث البلاغي والنقدي للاستخلاص مناهج القدماء ومقارنتها بالمناهج الحديثة مما يضيف دعماً لأصول النظرية النقدية عند العرب .

(١) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق: محمود شاكر ، مطبعة المدني ، جدة ، ١٩٩١م، ص٢٦.
(٢) البلاغة تطور وتاريخ ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، الطبعة الثامنة ، ١٩٩٢م ، ص١٨٨.
(٣) مناهج التحليل البلاغي، رسالة دكتوراه، إعداد: عبدالله بانقيب، جامعة أم القرى ، ١٤٢٨هـ ، ص ١١.

و. ميول الباحث لاستنباط المناهج التي سار عليها الكتاب والمؤلفين في التراث البلاغي والنقدي العربي القديم ؛ للنظر في كيفية تطبيقها في المؤلفات التراثية ، وهذا البحث نموذجاً لهذا الميول.

٢- مشكلة البحث.

وتكمن مشكلة البحث الرئيسية في السؤال الاتي:

ما هو منهج عبد القاهر الجرجاني في تناوله للسجع والجناس في كتابيه: دلائل الاعجاز ، وأسرار البلاغة ؟ ومعرفة منهج عبد القاهر يسهل على الدارس فهم السجع والجناس لديه والغرض من تناول عبد القاهر لهما؛ ولكون منهجه العام الذي اتبعه في الدرس البلاغي بشكل عام جدير بالدراسة ؛ لأنه استطاع أن يضع نظرية النظم في البلاغة؛ فلماذا لا نأخذ بالدراسة والتحليل منهجه بشكل جزئي على كل موضوع مستقل في كتابيه ومن ذلك موضوع الجناس والسجع؟.

ومن الأسباب التي قادت إلى كتابة البحث هو وجود صوت لبعض الباحثين يتهم عبد القاهر الجرجاني بالقصور في معالجة علم البديع حيث اقتصر على التجنيس والسجع بدون توسع كما فعل في مبحثي (المعاني، والبديع، يقول الدكتور علي عشري زايد متهمًا عبد القاهر الجرجاني بالتقليل من شأن البديع: " كان علم البديع أهون علوم البلاغة الثلاثة حظًا من اهتمام عبد القاهر وعنايته، فإذا كان أفرد لكل من علمي (المعاني، والبيان) كتابًا مستقلاً تناول فيه بالبحث الدقيق والدراسة المستفيضة مباحثه، فإن مباحث علم البديع لم تحظ منه بأكثر من صفحات معدودة في كتابيه تناول فيه اثنين فقط من فنون البديع الكثيرة وهما : التجنيس والسجع، وحتى هذان الفنان اللذان عرض لهما من بين فنون البديع الكثيرة لم يتناولهما بمثل ما تناول به فنون علمي (المعاني ، والبيان) من توسع في البحث وإفاضة في الدراسة، وإنما اكتفى بتقديم منهج جديد لدراستهما وتناولهما....." (١).

٣- هدف الدراسة.

تهدف الدراسة إلى الوقوف على منهج (عبد القاهر الجرجاني) أثناء تناوله لهذين اللونين البديعيين، وهدفه من الاقتصار عليهما عبر لوحيتين: تنظيرية، وتطبيقية، ومستشهداً بأقوال من كتبوا دراسات حول منهج (عبد القاهر الجرجاني) البلاغي والنقدي. كما تهدف إلى الرد على القائلين بتقصير عبد القاهر في تناوله للبديع في كتابيه (إعجاز القرآن، وأسرار البلاغة) من خلال اكتشاف منهجه.

٤- الدراسات السابقة.

(١) البلاغة العربية تاريخها ، مصادرها ، مناهجها ، علي عشري زايد ، مكتبة الآداب، ١٤٢٩هـ، ص٩٧.

لا توجد- بحسب الاطلاع قبل الكتابة- دراسة مخصصة لدراسة منهج عبد القاهر في تناوله للجناس والسجع خاصة. ولكن توجد دراسات لمنهج عبد القاهر لمواضيع معينة في كتابيه (دلائل الإعجاز) أو في (أسرار البلاغة) منها على- سبيل المثال لا الحصر- ما يلي:

- (١) قراءة في منهجية عبد القاهر في كتابة (دلائل الإعجاز) (١).
- (٢) منهج الجرجاني في الكشف عن وجوه الإعجاز القرآني (٢).
- (٣) الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني (٣).
- (٤) منهج الجرجاني في دراسة إعجاز النظم القرآني (٤).

٥- منهج البحث.

لاستجلاء ملامح عبد القاهر في تناوله لموضوعي الجناس والسجع اعتمدت الدراسة على منهج الاستقراء بالإضافة إلى المنهج الوصفي في بعض الأحيان، ومُعتمدة على كتابي عبد القاهر الجرجاني بتحقيقات مختلفة، وهي :

- (١) دلائل الإعجاز: شكله، وشرحه، وقدم له، ووضع فهارسه الدكتور (ياسين الأيوبي).
- (٢) أسرار البلاغة : تحقيق: (محمود شاكر) (ت ١٤١٨ هـ).
- (٣) أسرار البلاغة : تحقيق: (محمد رشيد رضا) (ت ١٣٥٤ هـ).

وسياتي البحث في الأوراق الآتية على الإجابة عن مشكلة البحث من خلال النقاط التالية التي تعتبر هي مباحث البحث وهي ما يلي:

- (١) مواطن ذكر الجناس، والسجع في كتابي (عبدالقاهر): (دلائل الإعجاز)، و(أسرار البلاغة) وذلك عن طريق رصد أماكن ذكر الجناس والسجع، وكيفية تناولهما.
- (٢) منهج عبد القاهر الجرجاني في حديثه عن الجناس والسجع .

٦- خطة البحث.

انتظم البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وثبتت المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات. إلى هنا انتهت مقدمة البحث والتي اشتملت على (الحاجة إلى الموضوع، ومشكلة البحث، والهدف منه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، ثم خطة البحث).

- (١) مجلة رؤى فكرية، نريمان عبد القادر يوسف، العدد الثامن، ٢٠١٨م.
- (٢) مجلة الحضارة الإسلامية، باجي عبد العزيز، ص ٣٩.
- (٣) تأليف: د. محمد عباس، دار الفكر المعاصر، دمشق- سورية، ط١، ١٩٩٩م.
- (٤) للدكتور علي يحيى نصر عبد الرحيم، ندوة مناهج البحث في بلاغة القرآن الكريم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وفي الختام أشكر الله -العلي القدير- الذي وفق الباحث لكتابة هذا البحث الذي ارجو أن يكون إضافة جديدة ومفيدة لمكتبة البلاغة العربية والنقد الأدبي.

تمهيد

(١) في البداية: عبد القاهر الجرجاني، ودلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة.

أ. عبد القاهر الجرجاني -

أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، فارسي الأصل، منسوب إلى جرجان – مدينة بين طبرستان وخراسان ببلاد فارس، ولد وعاش في جرجان، ولم يفارقها حتى وفاته فيها عام ٤٧١ هـ، إمام في النحو، وفقه شافعي، ومتكلم على مذهب الأشاعرة.

أخذ العلم عن أبي الحسن محمد الفارسي صاحب كتاب (الإيضاح) . كما قرأ الأدب على القاضي الجرجاني (٣٩٢ هـ) صاحب كتاب (الوساطة بين المتنبي وخصومه) وإلى ذلك أشار ياقوت الحموي: " وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه، وأعترف من بحره"^(١). وقرأ آثار من سبقوه من العلماء أمثال: الجاحظ، وابن قتيبة، وقدامة بن جعفر، والقاضي الجرجاني ، وأبي هلال العسكري، والزجاج ،.... وغيرهم.

اهتم في دراساته بالإعجاز القرآني ، وفضل نصوص القرآن على النصوص العربية الأخرى من شعر ونثر؛ ولذلك جاء اهتمامه بالبلاغة العربية؛ لإثبات مسألة الإعجاز في القرآن ، وكان من ثمار هذا الاهتمام كتابيه: (دلائل الإعجاز)، و(أسرار البلاغة) الذين يعدان من أهم مراجع البلاغة العربية، فلا يكاد مؤلف في البلاغة والنقد يخلو من الرجوع إليهما. وخلف آثاراً علمية أخرى في مختلف العلوم منها في النحو والصرف: الإيضاح في النحو، والتكملة، والجمل، والمقتصد، والمغني، والعوامل المائة النحوية.

وألّف في البلاغة: الرسالة الشافعية في إعجاز القرآن، ودلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة.

وله في الشعر والأدب مؤلفات: المختار من ديوان المتنبي، والبحثري، وأبو تمام.

ومن آثاره في العلوم الأخرى: رسالة في تقسيم العلوم، وتحقيق الكليات، ورسالة الطومي، وخطب العلوم.

ويُعد عبد القاهر أول من دعا أهل اللغة والأدب إلى أن للكلام نظماً يجب رعايته وإتباع قوانينه للإفهام وإلا أصبح الكلام في عداد اللغو، وأن المزية للنظم وليست للفظ على حدة ، أو للمعنى على حدة؛ وبذلك انتهى الجدل حول قضية اللفظ والمعنى ، وأحسن من خلالها اكتشاف أسرار الإعجاز في القرآن الكريم، حيث يقول: " واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت له فلا تزيغ عنها، ولا تحل شيئاً منها..."^(٢).

(١) معجم الأدباء، ياقوت الحموي (١٦/١٤).

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط٣، ١٤١٣ هـ، ص ٨١.

وتتلمذ على يديه عدد من العلماء منهم: أحمد بن إبراهيم محمد الشجري أبو النصر وهو من العلماء المشهورين في النحو خاصة. ومنهم العالم النحوي أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الخطيب التبريزي صاحب (شرح القرآن العظيم وإعرابه).

وتأثر فكرياً بمن سبقوه من العلماء الذين يشكلون لبنة مهمة في فكره البلاغي والنقدي أمثال: الجاحظ (٢٥٥هـ)، والرماني (٣٨٦هـ)، والخطابي (٣٨٨هـ)، والقاضي الجرجاني (٣٩٢هـ)، والباقلاني (٤٠٣هـ)، والقاضي عبد الجبار المعتزلي (٤٢٥هـ).

ولعبد القاهر أثرٌ على الدرس البلاغي حيث حوله من درس قائم على قوالب جامدة إلى درس قائم على الوصف والتحليل، ومن دراسة الناص إلى دراسة النص باستخدام مجموعة أساليب حيوية تؤدي مجتمعة إلى فهم النص^(١). توفي - رحمه الله تعالى- في جرجان في سنة (٤٧١هـ).

ب. دلالات الإعجاز.

نال الكتاب شهرته من خلال شرحه لنظرية النظم بثنتي أقسامها من علوم المعاني، تناول عبد القاهر فيه اللفظ والمعنى، والفصاحة والبلاغة، والكلام عن منزلة الشعر، والقول في الإعجاز. ويهدف الكتاب إلى إثبات أن القرآن الكريم معجز في نظمه، وليس في الصرفة؛ لذا عالج في هذا الكتاب الكثير من مصطلحات البلاغة بالشرح والتفصيل معروفاً، ومحللاً لها. وأدار عبد القاهر نظرية النظم على علوم المعاني من حيث: الفصل والوصل، والتقديم والتأخير، وأنواع الخبر، والحذف بأنواعه، ومزايا (إن)، ومسائل (إنما). وتناول تطبيق نظرية النظم على المحسنات البيديعية.

ويلحظ أنه يحاول أن يتناول نظرية النظم في كل مصطلح بلاغي؛ لأنه يحاول أن يعرف القارئ بها، ويلم شتاتها. ولا يترك في كل مرة أن يرد الشبهات التي قد ترد على عقل المتلقي، محذراً من سوء الفهم، وفساد الذوق. وتاريخياً جاء كتاب (دلالات الإعجاز) في مرحلة النضج في التأليف في البلاغة والنقد في القرن الخامس الهجري^(٢). وهذا الكتاب ليس خالصاً في علم المعاني فقط - كما يعتقد البعض - ولكنه يشتمل على مباحث في علم البيان مثل: الكناية. علاوة على ذلك يخطئ بعض المؤلفين فيدون العنوان هكذا: (دلالات الإعجاز في علم المعاني) وهذا خطأ، فالاسم الصحيح (دلالات الإعجاز).

وينفرد هذا الكتاب بدراسته لموضوعات نحويه على أساس بلاغي؛ ولهذا لمعت شخصية عبد القاهر في تقديمه للموضوعات النحوية بأن أعطاها حياة جديدة، فكان يتعامل معها تعامل الأديب العالم^(٣).

إن النحو في (دلالات الإعجاز) ليس الذي يبحث في أواخر الكلمات؛ لغرض الإعراب فقط، ولكنه النحو الذي يوحى بدلالات الألفاظ النفسية، وبه يفرق بين جيد الكلام وروديئه؛ ولذلك فرق عبد القاهر بين نظم الحروف، ونظم الكلام. إن الأولى هي توالي الحروف وليس نظم الكلام بمقتضى المعنى، وأما نظم الكلام فهو اقتضاء المعاني، وأثارها، وترتيبها حسب ترتيبها في النفس.

(١) انظر: مملكة النص (التحليل السيميائي للنقد البلاغي)، محمد سالم سعد الله، جدار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧م، ص١.

(٢) انظر - مثلاً - : الحواشي النقية على كتاب البلاغة لنخبة الأفاضل الأزهرية، محمد المالكي، دار الكتب العلمية، (د.ب.ت)، (د.ب.ت)، ص٢٥، وما بعدها.

(٣) انظر - عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، احمد مطلوب، وكالة المطبوعات - الكويت، ط١، ١٣٩٣هـ، ص٦٥.

ورؤية عبد القاهر إلى النحو من حيث: الإعراب، والنظم، والسياق هو أساس الدراسات الأسلوبية المعاصرة. والخاصة أن عبد القاهر الجرجاني وضع في كتابه (دلائل الإعجاز) الأطر الفنية والجمالية للبلاغة العربية.

ج. أسرار البلاغة.

كتاب في البلاغة، مطبوع، ومحقق، ومتداول؛ ومن أشهر المحققين له: محمود محمد شاكر، وأحمد مصطفى المراغي، وهلموت ريتز، ومحمد رشيد رضا، ومحمد عبد المنعم خفاجي. ويعتبر هذا الكتاب علامة بارزة في مسيرة البلاغة العربية. بدأ عبد القاهر حديثه في (أسرار البلاغة) عن اللفظ والمعنى، ثم السجع والتجنيس، ثم أنتقل إلى الحديث عن الاستعارة والتمثيل، ثم التشبيه الذي تقوم عليه الاستعارة، ثم أنتقل إلى الحديث عن السرقة الشعرية، وختم الكتاب بالحديث عن الحقيقة والمجاز. وقد تحدث عبد القاهر في بداية كتابه (أسرار البلاغة) عن هدفه ومقصده من تأليفه لهذا الكتاب قائلاً: "واعلم أن غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته، والأساس الذي وضعته، أن أتوصل إلى بيان أمر المعاني كيف تختلف وتتفق، ومن أين تجتمع وتفرق، وأفضل أجناسها وأنواعها، وأنتج خاصتها ومشاغها، وأبين أحوالها في كرم منصبتها من العقل، وتمكنها في نصابها، وقرب رجمها منه، أو بعدها حين تُنسب عنه، وكونها كالخليف الجاري مجرى النسب، أو الزنيم المصق بالقوم لا يقبلونه، ولا يمتعضون له ولا يدبُون دونه، وإن من الكلام ما هو كما هو شريف في جوهره كالذهب الإبريز الذي تختلف عليه الصور وتتعاقد عليه الصناعات، وجُلّ المعول في شرفه على ذاته، وإن كان التصوير قد يزيد في قيمته ويرفع من قدره، ومنه ما هو كالمصنوعات العجيبة من مواد غير شريفة، فلها، ما دامت الصورة محفوظةً عليها لم تنتقض، وأثر الصنعة باقياً معها لم يبطل قيمةً تغلو، ومنزلة تغلو، وللرغبة إليها أنصباب، وللنفوس بها إعجاب، حتى إذا خانت الأيام فيها أصحابها، وضامت الحادثات أربابها، وفجعتهم فيها بما يسلب حُسْنها المكتسب بالصنعة، وجمالها المستفاد من طريق العرض، فلم يبق إلا المادة العارية من التصوير"^(١). ووقف على منهجية عبد القاهر في هذا الكتاب والهدف منه عدد من المؤلفين العرب منهم: عماد محمد البخيتاوي الذي يقول متحدثاً عن هدف عبد القاهر من وراء تأليفه لكتاب (أسرار البلاغة): "لكتاب أسرار البلاغة هدف يختلف عن هدف (دلائل الإعجاز) إذا أفرد عبد القاهر الكتاب للفنون الداخلة في تشكيل بلاغة القول وهي: المجاز، والتشبيه، والاستعارة والكناية فكانت دراسته لهذه الفنون دراسة عميقة استنفد فيها كل جهده في تبين قدرة تلك الفنون على خلق كلام مؤثر يترك انطباعاً نفسياً وشعورياً"^(٢).

ويستهل عبد القاهر كتابه (اسرار البلاغة) بالجناس والسجع؛ ليثبت أن الجمال لا يرجع إلى وضعهما اللغوي، وإنما يرجع إلى موافقته للمعنى.

(٣) الجنس (مفهومه: لغة، واصطلاحاً)، وقيّمته الفنية).

أ. الجنس في اللغة: ذكر ابن منظور (٧١١هـ) أن الجنس الضرب من كل شيء، والجنس أعم من النوع، ومنه المجانسة، والتجنيس، ويقال هذا يجانس هذا أي يشاكله.^(٣)

(١) انظر - عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات - الكويت، ط ١، ١٣٩٣هـ، ص ٦٥.

(٢) مناهج البحث البلاغي عند العرب، عماد البخيتاوي، دار الكتب العلمية، ص ٢٤٣.

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور، ج ٢، ص ٣٨٣.

والجناس لغة مصدر جانس، والتجنيس تفعيل من الجنس، والمجانسة مفاعلة منه؛ لأن إحدى الكلمتين إذا شابهت إذا شابهت الأخرى وقع بينهما مفاعلة الجنسية والتجانس، والتجانس هو مصدر تجانس الشيطان إذا دخلا تحت جنس واحد^(١). والسبب في تسميته جناساً هو مجيء حروف ألفاظه من جنس واحدة في مادة واحدة^(٢).

ب. الجناس في الاصطلاح: هو تماثل اللفظين أو تشابههما في النطق، واختلافهما في المعنى. والجناس قسمان هما:

الأول: الجناس التام وهو ما تماثلت فيه الكلمتان في أربعة أنواع:

١- نوع الحروف. ٢- الحركات. ٣- العدد. ٤- الترتيب.

الثاني: الجناس غير التام وهو ما تشابهت فيه الكلمتان، وكان الاختلاف في واحد من الأنواع الأربعة.

ج. قيمته الفنية: يعد الجناس من المحسنات اللفظية في علم البديع، وإذا وُظف توظيفاً صحيحاً بحيث جانست الألفاظ بعضها، فأحدثت ميل المتلقي إليها والضرب على الإيحاء الدلالي والنفسي مع خدمتها المعاني التي يقصدها المتكلم والجناس معدود من العوامل المؤثرة في إثارة نفس المتلقي وشد انتباهه للخطاب (متكلم - كاتب)؛ لأنه يحدث إيقاعاً للألفاظ مما يكسب النص جمالا وقدرة على التأثير، وهذا لا يكون ما لم يكن المعنى هو الذي استدعاه وساقه إليه^(٣). وعرفه ابن الأثير (٦٣٠ هـ)، حيث يقول: "هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد"^(٤).

(٤) السجع. (مفهومه: لغة واصطلاحاً، قيمته الفنية).

أ. السجع في اللغة: سجع الحمام إذا ردد صوته على طريقة واحدة، وسجعه إذا قصده، وسجع الخطيب إذا تكلم بكلام مقفى غير موزون والسجع هو الكلام غير الموزون المقفى، وجمعه أسجاع، وسجوع والسجعة هي القطعة من الكلام المسجع^(٥).

ب. السجع في الاصطلاح: توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، وأفضله ما تساوت فقره. والفاصلة هي الكلمة الأخيرة من كل فقرة، وتسكن الفاصلة دائماً في النثر للوقف^(٦).

وجاء في (الكامل في اللغة والأدب) للمبرد (٣٨٥ هـ): "السجع في كلام العرب: أن يأتلف أواخر الكلم على نسق، كما تأتلف القوافي"^(٧).

ج. قيمته الفنية: ترجع أهمية السجع الفنية في كونه يصنع إيقاعاً يجعل النفوس تميل إليه، وينشط السماع، فيعلق النص في الأذهان. ولا يحسن السجع إلا إذا توفرت فيه شروط من أبرزها ما يلي:

١- أن تكون الألفاظ خفيفة على السمع، وأنيقة رشيقة.

(١) انظر: ألوان الربيع في ألوان البديع، المدني، ج١، ص٩٧.
(٢) انظر: جنان الجناس، صلاح الدين الصفدي، مطبعة الجوائب-القسنطينية، ط١، ١٢٩٩ هـ، ص١٠.
(٣) انظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيد ناجي، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط١، ٢٠٠١ م، ص٤٢.
(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبن الأثير، تقديم وتعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة، ط٢، (د.ت)، ص١٠٨.
(٥) انظر: لسان العرب، لابن منظور.
(٦) البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين، دار المعارف، ط١٥، ١٩٦٩ م، ص٢٦٤.
(٧) الكامل، المبرد، ج٢، ص٦٠٦.

٢- أن يكون المعنى هو الأصل ، والسجع فرع تابع له.

المبحث الأول

مواطن ذكر الجناس، والسجع في كتابي (دلائل الإعجاز)، و(أسرار البلاغة).

بالاستقراء لموضوعي (الجناس والسجع) في كتابي عبد القاهر الجرجاني ، انحصرت مواطن ذكرهما فيما يلي:

أ . في كتاب دلائل الإعجاز بعد حديثه عن الاستعارة، والإيجاز، والكناية، والتمثيل، والمجاز، وأن العلماء يعدون ما سبق مما يوجب الفضل والمزية وخصوصاً الاستعارة، والإيجاز ، ردُّ على القائلين بأن القرآن الكريم معجزٌ لسلامة حروفه مما يتقل على اللسان، فأخذ في الحديث عن سهولة الألفاظ ووعرتها، وأنه لا اعتداد للألفاظ حتى تؤلف كلاماً صحيحاً في نظمه ويؤدي الهدف الذي يراد منه^(١) .

وقد تحدث في هذا الكتاب عن الجناس، والسجع، وأرجع جمالهما إلى المعنى لا إلى جرس الحروف، وظاهر الوضع اللغوي . وقد أوضح (عبد القاهر الجرجاني) الهدف من إقامته للتجنيس، والسجع في هذا الموضوع حيث يقول: " والقول فيما يحسن وفيما لا يحسن من التجنيس والسجع يطول ، ولم يكن غرضنا من ذكرهما شرح أمرهما ، ولكن توكيد ما انتهى بنا القول إليه من استحالة أن يكون الإعجاز في مجرد السهولة، وسلامة الألفاظ مما يثقل على اللسان " ^(٢) .

ب . في مستهل كتابه (أسرار البلاغة) وفي أثناء حديثه عن مواضع استحسان اللفظ، حيث يقول: " وهاهنا أقسام قد يتوهم في بدء الفكرة ، وقبل إتمام العبرة ، أن الحسن والقبح فيها لا يتعدى اللفظ والجرس ، إلى ما يناجي فيه العقل النفس ، ولها إذا حقق النظر مرجع ذلك ، ومنصرف فيما هنالك ، منها : " التجنيس " و " الحشو " ... " ^(٣) .

ويبدو أن عبد القاهر لم يأت بهذه المواطن عفويًا أو اعتباطياً، بل وفق المنهج الذي يعتمده، والقائم على التنظير؛ لإثبات تأصيل المصطلحات أولاً ، وعلى التطبيق العملي القائم على سرد الشواهد وتحليلها بأسلوب عميق، واستقصاء دقيق الأمر الذي أدى إلى اكتشافه وظيفة الجناس وهي تكوين موسيقى داخلية للنص ملائمة للمعنى. أما ورود السجع عند الكاتب فيجب أن يكون بشكل انسيابي غير متكلف ولا ثقيل؛ وليكون ممسكاً بذاكرة المستمع أو انتباهه وعواطفه .

ويتبين من خلال مواطن ذكر الجناس والسجع في كتابيه (اعجاز البلاغة) و(أسرار البلاغة) أن عبد القاهر لم يكن لديه قصور في دراسة الجناس والسجع لأمر منها مايلي:

(١) انظر: دلائل الإعجاز، تحقيق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، (د، ط) ١٤٢٨ هـ، ص ٤٨٠ .

(٢) المصدر السابق، ص ٤٨٢ .

(٣) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني بجدة، ط١، ١٤١٢ هـ، ص٦، ص٧ .

- (١) أن المنهج العام عند عبد القاهر في كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) يقوم على أساس الكلام المؤلف لا على الكلمة المفردة، فليس للجزئيات عنده كبير أثر ، وإنما الكل هو الذي يستدعي الجزء .
- (٢) أنه تحدث عن التجنيس والسجع في (اسرار البلاغة) في مواقع استحسان اللفظ ؛ ليثبت أن المزية ترجع للنظم .
- (٣) أن المصطلحات البلاغية وتقسيمات علم البلاغة لم تكن معروفة في زمن عبد القاهر ، ولم تكن الفكرة عنده تقسيم البلاغة كما فعل المتأخرون بعده إلى (علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع) وإنما كان يبحث عن نظرية النظم، وكان منهجه أقرب إلى البحث اللغوي.

المبحث الثاني.

منهج عبد القاهر الجرجاني في حديثه عن الجناس والسجع .

سار (عبد القاهر الجرجاني) على منهجه العام ، وهو الإجمال ، ثم التفصيل للمسألة البلاغية وهو منهج قائم على الموضوعية والتحليل والتذوق ، والمستقرى لطريقة عرضه لدرسي الجناس والسجع يتبين له أنه عالجهما برسم لوحين متوازيين متداخلتين ضمن منهجه الإجمال والتفصيل ، وهما :

أ. اللوحة التنظيرية .

عرض فيها مقدمات تنظيرية لمفهوم الجناس ، والسجع ، وعلاقتها بنظرية النظم ، وارتباطهما بالحالة النفسية للمتكلم ، والجناس الموفق ، والجناس الفاسد ، ومواطن الجمال فيهما ، ونظرة العرب الأوائل إلى الجناس والسجع .

(١) مصطلح الجناس ، وصيغته عند عبد القاهر .

لم يورد عبد القاهر الجرجاني تعريفاً لمصطلح الجناس كما فعل من سبقوه في الكتابة عنه ولكن المتمعن في أقواله يجد أنه يدخله ضمن مفهوم البديع ، وورد عنده بصيغة (تجنيس) على وزن (تفعيل) ، ومصطلح التجنيس – كما يحلو للجرجاني تسميته – يدخل ضمن ما هو معروف في وقتنا الحاضر باسم البديع ، يقول (عبد القاهر الجرجاني) في حديثه عن الاستعارة، حيث يقول : " وهكذا تراهم يعدونها في أقسام البديع حيث يذكر التجنيس والتطبيق والتوشيح ورد العجز على الصدر" ^(١) ، ويقول في موضع آخر : " في هذه السريرة صار التجنيس وخصوصاً المستوفى منه المنفق في الصورة من حلي الشعر، ومذكوراً في أقسام البديع " ^(٢) .

(٢) تصور (عبد القاهر) للجناس، والسجع وفق نظرية النظم

(١) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ، ص ٣٤٦ .
(٢) أسرار البلاغة ، تحقيق: محمود شاكر ، مصدر سابق ، ص ٨ .

يتعامل عبد القاهر الجرجاني مع علوم البلاغة على أساس نظرية النظم لذلك يهتم بتحليل النص لاكتشاف الأسرار البلاغية التي تبرهن على صحة النظرية ، فيقول في ختام حديثه عن التجنيس والسجع في كتابه دلائل الإعجاز : "واعلم أن الأمر قد أن نعود إلى ما هو الأمر الأعظم، والغرض الأهم والذي كأنه هو الطلبة، وكل ما عده ذرائع إليه، وهو المرام وما سواه أسباب للتسلسل عليه، وهو بيان العلل التي لها أن يكون لنظم مزية على نظم، وأن يعم أمر التفاضل فيه ، وينتهي إلى الغايات البعيدة " (١) ، وفي هذا الباب نجده قد حدد للقارئ معالم الجنس، والسجع على ضوء ما يلي :

أ . الجناس المقبول عنده ما اقتضاه المعنى وتطلبه المضمون، وتقبلته العقول، وابتعد فيه المبدع عن الزخرفة وجلب اللفظ أولاً (٢) ، ويوضح عبد القاهر هذا قائلاً : " أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعاً حميداً ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً " (٣) ، ويقول أيضاً: " فقد تبين لك أن ما يعطي (التجنيس) من الفضيلة، أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه إلا مستحسن ، ولما وجد فيه معيب مستهجن، ولذلك ذم الاستكثار منه والولوع به " (٤)

ب . أعلى درجات الجنس المقبول هو ما جاء ارتجالاً من غير قصد ، أو تكلف، فيقول : " وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ، ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وحتى تجده لا تبغي به بدلاً ، ولا تجد عنه حولا ، ومن هاهنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه ، وأحقه بالحسن وأولاه ، ما وقع من غير قصد المتكلم إلى اجتلابه ، وتأهب لطلبه ، أو ما هو لحسن ملائمته ، وإن كان مطلوباً بهذه المنزلة وفي هذه الصورة " (٥)

ج . لم يهتم بالجناس، والسجع إلا في حدود ما يدل به على صحة نظرية النظم ، وقد فطن لهذه الميزة الدكتور أحمد مطلوب حيث يقول : " ومن موضوعات البديع التي أشار إليها في كتابيه من غير أن يهتم بها إلا بقدر ما يؤيد نظريته في النظم : الجنس وهو مما لا يتعدى الحسن فيه اللفظ والجرس وإنما فيه ما ينجح العقل والنفس " (٦)

د . الألفاظ خدم للمعاني؛ ولذلك فإن القديم لا يطلبون من الجنس إلا ما وافق المعنى وأتى على السجية والطبع ، وأن المتأخرين طلبوه تكلفاً، فوقعوا بالمستكره منه، وذم الإكثار منه ، فيقول : " ذلك أن المعاني لا تدين في كل موضع لما يجذبها التجنيس إليه ، إذ الألفاظ خدم المعاني والمصرفة في حكمها ، وكانت المعاني هي المالكة سياستها، المستحقة طاعتها ، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته ، وأحاله عن طبيعته ، وذلك مظنة الاستكراه ، وفيه فتح أبواب العيب ، والتعرض للشين " (٧)

ويذم المتأخرين الذين يطلبون الجنس والسجع وغيره من ألوان البديع، فيقول : " وقد تجد في كلام المتأخرين الآن كلاماً حمل صاحبه فرط شغفه بأمر ترجع إلى ماله اسم في البديع ، إلى أن ينسى أنه يتكلم ليُفهم ، ويقول لبيبي ، ويخيل إليه أنه جمع بين أقسام

(١) انظر : دلائل الإعجاز ، مصدر سابق ، ص ٤٨٢ .

(٢) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مصدر سابق ، ص ٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧ .

(٤) أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مصدر سابق ص ٨ .

(٥) المصدر نفسه: ص ١١ .

(٦) عبد القاهر بلاغته ونقده ، أحمد مطلوب ، مصدر سابق ، ص ١٦٧ .

(٧) أسرار البلاغة ، تحقيق محمود شاكر ، مصدر سابق ، ص ٨ .

البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عناه في عمياء ، وأن يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء ، وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وأفسده ، كمن ثقل على العروس بأصناف الحلى حتى ينالها من ذلك مكروه في نفسها " (١).

هـ . قرنه السجع بموضوع الجناس دليل على أنه يرفض العناية به لأجل الألفاظ، وإنما يتقبله بحسب ما يطلبه المعنى ، فنجده يقول : "والقول فيما يحسن وفيما لا يحسن من التجنيس والسجع يطول، ولم يكن غرضنا من ذكرهما شرح أمرهما، ولكن توكيد ما انتهى بنا القول إليه من استحالة أن يكون الإعجاز في مجرد السهولة، وسلامة الألفاظ مما يتقل على اللسان " (٢).

و . ترك، وإهمال ما لا فائدة منه من السجع، وإن كان يمنح الأسلوب جرساً وحلاوة؛ لأنه يرهق الأسلوب ويضعف المعنى، وتتكشف قوة المبدع اللغوية من خلاله أمام المتلقي ، فيقول: " إنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ، ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وحتى تجده لا تبغي به بدلاً ، ولا تجد عنه حولا ، ومن هاهنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه ، وأحقه بالحسن وأولاه ، ما وقع من غير قصد المتكلم إلى اجتلابه ، وتأهب لطلبه ، أو ما هو لحسن ملائمته ، وإن كان مطلوباً بهذه المنزلة وفي هذه الصورة" (٣).

ز . أخذ عبد القاهر في توضيح حالة المبدع والمتلقي النفسية من حيث استعمال الجناس والسجع، فعد تركهما في بعض المواضع عقوباً للمعنى إذا كان الأخذ بهما فيه توضيح للمعنى، قائلاً: " إن المعنى المقتضي اختصاصه على هذا النحو بالقبول هو أن المتكلم لم يقد المعنى نحو التجنيس والسجع، بل قاده المعنى إليهما، حتى إنه لو رام تركهما إلى خلافهما مما لا تجنيس فيه، ولا سجع لدخل من عقوق المعنى، وإدخال الوحشة عليه، فيما ينسب إلى المتكلم للتجنيس المستكبره، والساجع النافر" (٤).

ب. اللوحة التطبيقية .

رسم (عبد القاهر الجرجاني) في هذه اللوحة درسه البلاغي التطبيقي على موضوعي الجناس والسجع من خلال الشواهد الشعرية التي يغلب عليها أشعار أبي تمام والبحتري مما يعني أنه متأثر بكتاب الموازنة لأبي بشر الأمدي (ت ٣٧٠ هـ) الذي درس الجناس عند أبي تمام بطريقة وصفية من دون أن يذكر العلل قائلاً : "ومثل هذا في أشعار الأوائل موجود ، لكنه إنما يأتي منه في القصيدة البيت الواحد والبيتان ، على حسب ما يتفق للشاعر ، ويحضر في خاطره ، وفي الأكثر لا يعتمد ، وربما خلا ديوان الشاعر المكثر منه ؛ فلا ترى فيه لفظة واحدة . فاعتمده الطائي ، وجعله غرضه ، وبنى أكثر شعره عليه" (٥) . بينما أعتمد عبد القاهر الجرجاني على منهج تحليلي. ومن الملاحظ في هذا الباب أنه – في أغلب الأحيان - يأتي أولاً بشاهد على القاعدة الشاذة ، ثم يتلوه بشاهد يتوافق مع القاعدة الصحيحة ، واليك بعض صور التطبيق البلاغية في هذا الباب :

(١) المقابلة بين صورتين:(صورة فاسدة / صورة حسنة).

(١) المصدر نفسه ، ص ٩ .

(٢) دلائل الإعجاز ، مصدر سابق ، ص ٤٨٢ .

(٣) دلائل الإعجاز ، مصدر سابق ، ص ١١ .

(٤) أسرار البلاغة تحقيق محمود شاكر ، مصدر سابق ، ص ٩ .

(٥) الموازنة بين أبي تمام والبحتري، للأمدي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م، ص٢١١.

وتغلب هذه الصورة على الكثير من تطبيقاته في هذا الباب (الجناس – السجع) حيث يقوم بعرض صورتين أحدهما للقاعدة الإيجابية والأخرى للسلبية، ومن النماذج على ذلك حديثه عن الجناس الفاسد والجناس الموفق حيث ابتدأ بعبارات إجمالية في بداية الأمر توحى للقارئ بالحكم على الجناس من غير تحليل، حيث يقول: "أتراك استضعفت تجنيس (أبي تمام) في قوله: (١) (الكامل) دَهَبَتْ بِمَدَّهِهِ السَّمَاحَةَ، فَالْتَوَتْ فِيهِ الظَّنُونُ: أَمْدَهَبْتُ أُمَّ مَدَّهَبْتُ.

واستحسن قول القائل: (رجز)

حَتَّى نَجَا مِنْ خَوْفِهِ وَمَا نَجَا

وقول المحدث^(٢): (الخفيف)

نَاطِرَاهُ فِيمَا جَنَى نَاطِرَاهُ أَوْ دَعَانِي أُمَّتُ بِمَا أُوْدَعَانِي

انتهى كلامه" (٣).

ويبدو أن عبد القاهر يريد بهذه العبارات (استضعفت)، و(استحسن) إثارة الفكر لدى المتلقي أولاً، ورسم صورته في مخيلته العقلية ليكون متهيئاً للبحث عن الكوامن النفسية التي حفزته للاستضعاف وللإستحسان، وهو بهذه العبارات يدعو المتلقي للموازنة أولاً بين الشواهد الشعرية قبل أن يدخل في عملية التحليل.

ثم بعد أن يجمل يفصل الأسباب للقارئ قائلاً: "لأمر يرجع إلى اللفظ؟ أم لأنك رأيت الفائدة ضعفت عن الأول وقويت في الثاني؛ ورأيتك لم يزدك (أَمْدَهَبْتُ وَ مَدَّهَبْتُ) على أن أسمعك حروفاً مكررة، تروم فلا تجدها إلا مجهولة منكورة، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه خدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك، وقد أحسن الزيادة وأوفاها، فهذه السريرة صار (التجنيس)، و- خصوصاً المستوفى منه المتفق في الصورة – من حلى الشعر، ومذكوراً في أقسام البديع" (٤).

(٢) الصورة التبادلية.

أسلوب أتبعه عبد القاهر الجرجاني في تناوله لمسائل التجنيس، والسجع حيث يأتي بالنص صحيحاً ومستويّاً تستسيغه الأذواق، ثم يطلب من المتلقي أن يقوم بعملية عصف ذهني ويبدل مفردات السجع، أو الجناس بمفردات أخرى، ليكتشف بنفسه مدى ملائمة ألفاظ السجع للمعنى من غير تكلف.

ومن أمثلة ذلك استشهاده بقطعة نثرية من كلام الجاحظ في كتابه الحيوان: "جنبك الله الشبهة، وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة سبباً، وبين الصدق نسباً، وحبب إليك التثبيت، وزين في عينيك الإنصاف، وأذاقك حلوة التقوى، وأشعر قلبك عز الحق، وأودع صدرك برد اليقين، وطرد عنك ذل اليأس، وعزّفك ما في الباطل من الذلة، وما في الجهل من القلة" (٥).

ثم يُدلي عبد القاهر بقوله إن الجاحظ وفق بين (الشبهة)، و(الحيرة) في الإعراب، ثم يقول: "ولم يعن بأن يطلب (للإس) قرينة تصل جناحه، وشيناً يكون رديفاً له؛ لأنه رأى التوفيق بين المعاني أحق، والموازنة فيها أحسن، ورأى العناية بها حتى تكون

(١) ديوان أبي تمام (شرح التبريزي) تحقيق: محمد عزام، دار المعارف، ط٤، (د.ت)، ج٥، ص ١٢٩.

(٢) بيتيمة الدهر، للثعالبي، تحقيق: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، (د.ب.ط)، (د.ت)، ج٣، ص ٤٨٣.

(٣) أسرار البلاغة: مصدر سابق، ص٧، و ص٨.

(٤) أسرار البلاغة، مصدر سابق، ص٧، و ص٨.

(٥) أسرار البلاغة، تحقيق: محمود شاكر، ص٩، ص ١٠.

أخوة من أب وأم، ويذرها بذلك تتفق بالوداد، على حسب اتفاقها بالميلاد، أولى من أن يدعها، لنصرة السجع وطلب الوزن، أولاد
علة عسى أن لا يوجد بينها وفاق في الظواهر، فأما أن يتعدى ذلك إلى الضمائر، ويخلص إلى العقائد والسرائر، ففي الأقل النادر"
(١).

(٣) الصورة الثابتة.

وفي هذا النمط يقدم عبد القاهر الجرجاني القاعدة، ثم يتبعها بالشواهد من دون أن يشرحها تاركاً ذلك للمتلقي، ومن نماذج هذه
الصورة حديثه عن أن التجنيس والسجع الحسن لا يستحسن حتى يطلبه المعنى، بدأ بسررد عدة شواهد شعرية دون التعليق عليها منها
قول البحثري^(٢): (الخفيف)

يَعِشِي عَنِ الْمَجْدِ الْعَبِيِّ، وَلَنْ تَرَى فِي سُودِّ أَرْبَا لَغَيْرِ أَرِيْبِ
وقوله^(٣): (الوافر)

فَقَدْ أَصْبَحْتَ أَغْبَبَ تَغْلِيْبِي عَلَى أَيْدِي الْعَشِيْرَةِ وَالْقُلُوبِ
وقوله^(٤): (الكامل)

وَهَوَى هَوَى بِدُمُوعِهِ فَتَبَادَرَتْ نَسَقًا يَطَانُ تَجَلْدًا مَغْلُوبًا
وقوله^(٥): (الكامل)

مَا زِلْتَ تَقْرَعُ بَابَ بَابِكَ بِالْقَنَا وَتَزْوَرُهُ فِي غَارَةِ شَعْوَاءِ

وقوله^(٦): (الكامل)

ذَهَبُ الْأَعَالِي حَيْثُ تَذْهَبُ مُقَلَّةٌ فِيهِ بِنَظْرِهَا حَدِيدُ الْأَسْفَلِ

لقد ترك عبد القاهر في الشواهد السابقة الحكم والاستنباط للمتلقي؛ ليفتح قناة تواصل بينه (الكاتب) وبين المتلقي، وهذه من ثمرات
نظريته النقدية التي تجعل من النص الأدبي عملاً مفتوحاً للقراءة المتجددة القائمة على الفهم والتذوق، وهذا هو من العوامل التي
ساعدت على خلود آثاره العلمية خصوصاً (دلائل الإعجاز)، (وأسرار البلاغة).

(١) المصدر نفسه : ص ١٠ .

(٢) ديوان البحثري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف- مصر ، ص ٢٤٥ .

(٣) ديوان البحثري، مصدر سابق، ص ٩٨ .

(٤) المصدر السابق، ص ١٨٤ .

(٥) المصدر السابق، ص ٩ .

(٦) البيت في ديوان البحثري في وصف الفرس .

الخاتمة .

الحمد لله رب العالمين ، الذي منّ على الباحث بإكمال هذا المبحث ، والصلاة والسلام على معلم الخير نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم- ، أما بعد :

فبعد رحلة مع منهج عبد القاهر الجرجاني في التجنيس والسجع ، توقف البحث عند محطات محددة في درسه التنظيري، والتطبيقي لهذا الباب . ونتج عن هذه الرحلة البحثية نتائج وتوصيات نجلها في الآتي.

أولاً : النتائج.

- ١- منهج عبد القاهر يقوم على مبدأ التدرج بالعرض من المستوى التنظيري إلى التطبيقي؛ ليكون الدرس واضحاً للمتلقي وخالياً من الغموض واللبس .
- ٢- لم يقف عند حدود المنهج الموضوعي ، فيطرح العلل فقط ، بل يتعداها إلى البحث في جماليات السياق؛ لبيث الذوق والجمال في نفس المتلقي ؛ وليدفع عنه الملل والسآمة .
- ٣- يراعي في منهجه طبيعة الدرس، فيتناول العوامل التي تخدم الدرس، وأهدافه ونتيجته؛ ليضمن اتصال المتلقي بالموضوع فقط من غير تشتيت لأفكاره.
- ٤- منهجه قائم على الأخذ بالنتائج بعد التنظير والتطبيق، فعرض درس الجناس والسجع؛ ليدل على :
أ. أن المزية ترجع إلى النظم وليس إلى اللفظ لوحدة ولا للمعنى لوحدة .
ب. أن للجناس والسجع قيم صوتية ودلالات إيحائية نفسية يجب على المتكلم مراعاتها؛ ليوصل للمتلقي الرسالة؛ وليحدث في نفسه نوعاً من الاصغاء للخطاب.
- ٥- يتناول الدرس البلاغي بالعرض، والتحليل، والشواهد المتنوعة من النثر والشعر، برؤية شمولية للموضوع مستحضراً طرفي عملية الإبداع (المتكلم، والمتلقي) مما يؤدي إلى استنباط المتلقي لفوائد الجناس والسجع. هذه هي أبرز معالم منهج عبد القاهر الجرجاني في دراسته للتجنيس والسجع .
- ٦- أدرك عبد القاهر قيمة المنهج والمضي بالقارئ من المسائل الصغرى إلى الكبرى وفي هذا تقدير لقيمة المتلقي الذي سيرصد في الأخير النتيجة العلمية للمسألة بشكل موفق.
- ٧- راعى عبد القاهر أفق توقع المتلقي، فاهتم بالوظيفة التعبيرية والأثر النفسي للتجنيس والسجع فلا ينبغي أن يأتي هدفاً لذاتهما زينة للشكل ، وإنما يكون لهما دورٌ في إيصال المعنى.
- ٨- يجمع في منهجه في دراسة الجناس والسجع بين النزعتين : العلمية والأدبية، وهذا مكنه من تقديم منهجاً قوياً طبقه على الجناس والسجع ليكون مفتاحاً للباحثين بعده لدراسة البديع.

٩- لم يكن اختياره لدراسة الجناس والسجع تنظيراً وتطبيقاً أمراً عفويًا؛ ولكنه اختارهما لأنهما محسنان لفظيان، فبرهن للمتلقي على أنه ليس للفظ أثرٌ في تحسين الكلام وإنما المراد في حسن الكلام للنظم.

١٠- يعتمد في منهجه على مراعاة حضور المتلقي وذلك واضح في الجوانب التالية:

أ . المحاوره بين الكاتب والمتلقي بهدف الإقناع.

أ . حث المتلقي على إعمال العقل والتفكير الدائم لفهم المسألة واستجلاء الأسباب.

ثانياً : التوصيات.

١- دراسة تطبيق الزمخشري (٥٣٨هـ) في تفسيره (الكشاف) للجناس ؛ لأنه متأثر بكتابي عبد القاهر الجرجاني (دلائل الإعجاز)، (وأسرار البلاغة).

٢- دراسة الجانب التربوي لدى عبد القاهر الجرجاني من خلال منهجه العلمي في البلاغة العربية.

٣- دراسة وسائل الإقناع عند عبد القاهر الجرجاني .

٤- دراسة التلقي في منهج عبد القاهر الجرجاني.

وبهذا يصل البحث إلى نهاية الرحلة العلمية في دراسة منهج عبد القاهر الجرجاني للجناس والسجع في كتابيه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة)، نسأل الله أن ينفع به ، وأن يكون مفتاح خير وإضافة جديدة في الدراسات البلاغية والنقدية.

وأخيراً نقول: الحمد لله رب العالمين صاحب المنة والفضل ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

ثبت المراجع والمصادر.

أ. فهرس المراجع .

- ١- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، قرأه وعلق عليه محمود شاكر ، مطبعة المدني – القاهرة ، ط١ ، ١٤١٢ هـ .
- ٢- عبد القاهر الجرجاني ،أسرار، تحقيق محمد رشيد رضا ، دار الكتب العلمية –بيروت-لبنان ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ .
- ٣- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت – لبنان ، (د.ط) ، ١٤٢٨ هـ .

ب. فهرس المصادر.

- ١- أبو تمام ، ديوان البحر (شرح التبريزي)، ي، تحقيق: محمد عزام، دار المعارف، ط٤، (د.ت).
- ٢- أحمد علي دهمان ، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجاً وتطبيقاً، ط١ ، ١٩٨٦ م .
- ٣- أحمد مطلوب، مناهج بلاغية ، وكالة المطبوعات – الكويت ، ط١٣٩٣، ١ هـ .
- ٤- بثينة سليمان ، شعرية البديع عند عبد القاهر الجرجاني ، مجلة اللغة العربية وآدابها ، فصلية محكمة ، العدد (١) ربيع ٢٠١٠ م .
- ٥- البحرني ، ديوان البحرني ، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف- مصر، (د.ط) ، (د.ت).
- سلوى النجار ، سر الدلالة في التجنيس لدى عبد القاهر الجرجاني ، مجلة علامات، العدد ٢٦،
- ٦- شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، ط٨ ، ١٩٩٢ م.
- ٧- عبدالله با نقيب ، مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز من الرماني إلى الباقلاني ، رسالة دكتوراه ، كلية اللغة العربية – جامعة أم القرى ، ١٤٢٨ هـ .
- ٨- محمد سالم سعد الله، مملكة النص (التحليل السيميائي للنقد البلاغي)، جدار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧ م .
- ٩- محمد محمد أبو موسى ، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، مكتبة وهبة ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٦ هـ.
- ١٠- عباس حسن، النحو الوافي ، دار المعارف – القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٣ م.
- ١١- لحازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق: د. محمد بن الحبيب خوجة، الدار العربية للكتاب – تونس، ط٣ ، ٢٠٠٨ م.
- ١٢- أبي يعقوب لسكاكي، مفتاح العلوم ، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٧ هـ.
- ١٣- يوسف عدس، مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة – عمّان (الأردن) ، ط١، ٢٠٠٧ م.
- ١٤- ابن منظور (ت:٧١١هـ)، لسان العرب ، دار صادر- بيروت، لبنان ، (د.ط) ، ٢٠٠٣ م.
- ١٥- محمد محمد أبو موسى، دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، دار وهبة ، القاهرة ، ط٢، ١٤٠٨ هـ.
- ١٦- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علمي البيان والبديع)، دار الفرقان للنشر ، ط١٠ ، ٢٠٠٥ م.